المثقفون يحملون فكرا نخبويا وهذا يجعلهم في معركة خاسرة

الكاتب السعودي خالد الغنامي: الشعراء العرب كانوا فلاسفة

يعدّ خالد عاذي الغنامي واحدا من الكتاب والمثقفين السعوديين التنويريين الذين نادوا بالتسامح الإسلامي. وقدّم للقارئ العربي العديد من الإصدارات الأدبية والفكرية والترجمات التي أثارت جدلا ونقاشات طويلة. "العرب" توقفت معه في حوار تناول بعض القضايا الثقافية والفكرية المتعلّقة بالتحولات الوطنية الأخيرة.

زكي الصدير
كاتب سعودي

ما حدث في السنوات الأخيرة كان مفاجأة

لا يعلم خالد الغنامي الكثير مما يدور في وزارة الثقافة، فهو يعبّر عن نفسه بأنه من صعاليك الثقافة الذين يعيشون على الضفاف، وكل ما يملكه هو الأمنيات، فهو بعيد عن المنصات الرسمية وعن عالم الأندية الأدبية والملتقيات الثقافية، ولا يعرف الكثير عن القضايا التي يتم نقاشها أو الطموحات المرجوة لها، لكن يظل، حسب قوله، المثقفون هم "ملح البلد" الذين يتمنى أن يكون لهم حراك ملموس لمواكبة حركة التغيير العظيمة التي تمر بها السعودية.

الغنامي عضو في حلقة الرياض الفلسفية التي تأسست في عام 2008 على أيدي مجموعة من المهتمين بالمعرفة الفلسفية في الرياض، حيث تعقد نشاطات وفعاليات فلسفية وفكرية، وتتضمن تقديم أوراق وندوات في الفلسفة.

الشعر والفلسفة

تهدف الحلقة الفلسفية السعودية إلى نشر وممارسة الفعالية والمعرفة الفلسفية، وإلى تلاقح الأفكار بين المهتمين بها من أجل رفع قيمة السؤال الفلسفي والمعرفة الوجودية، حيث تتيح الحلقة للمهتمين تقديم أوراقهم سواء كانوا من داخل الحلقة أو من خارجها، لكن السؤال الذي يحيط بطبيعة الحركة الفلسفية في المملكة هو كيف يمكن نشوء حركة فلسفية في ظل أنساق ثقافية عالية تجرم التفكير خارج الصندوق الإسلامي. ألا يعد الفعل الفلسفي مجرد وهم؟

يقول الغنامي "الحركة الفلسفية في السعودية ليست بوهم، بل حقيقة ناصعة. هناك جيل من الشباب الذين تبهج الصدر رؤية ما يكتبونه في هذا الحقل المعرفي الجوهري. ثم إن الفلسفة لم تغب يوما من الدهر عن الإنسان العربي. ليس بالضرورة أن تخرج الفلسفة من تحت عباءة أفلاطون وأرسطو أو أن تتعلم منطقه، فهناك الفلسفة الهندية التي سبقت فلسفة الإغريق، وقد اكتملت فيها تضاريس الفلسفة، من بحث في الوجود وفي نظرية المعرفة وفي الأخلاق. والعربي كذلك، لطالما تفلسف من خلال ديوانه 'الشعر'. مر على ديوان جرول بن أوس، ذلك الإنسان الجميل الذي يقولون له 'الحطيئة' وستجد روحا فلسفية شقية تتساءل بشغف وألم".

> المثقفون العرب في معركة خاسرة أمام جماهيرية بعض الفنانين والرياضيين وكذلك أمام نجوم شبكات التواصل الاجتماعي

ويضيف "أقدم أعظم فلاسفة القرن الماضي مارتن هايدغر على إلغاء تاريخ الفلسفة واعتبر أن الشعر هو من يقوم بتأسيس الوجود، يقصد أنه تأسيس باللغة التي ترى العالم، خلافا لأفلاطون الذي كان يرى الشعر مجالا للوهم والزيف. كان هايدغر يرى الشعر مجالا خصبا لتحقيق الإبداع، بل إنه يرى الفلسفة هي من تحتاج لإدراك شروط التجربة الشعرية لتوجه التفكير وفقها. ولو عدت لشعراء العربية الكبار لوجدت عندهم روح التفلسف هذه، وإن لم يكتبوا كتابا يشرح أرسطو، انظر في شعر المتنبي أو الجواهري على سبيل المثال".

وفي معرض حديثنا عن امتداد الصحوة في زمننا هذا، لاسيما بعد الموقف السعودي الرسمي من الخطاب الصحوي مؤخرا، وهل يمكن اعتبار الموقف السعودي الشاهد الأخير على قبر الصحوة، يقول ضيفنا "لا بد من القول في البداية إن الإسلام كدين كان موجودا قبل الصحوة، وسيستمر بعد غروبها. ما يسمى بعصر الصحوة كان سنين الازدهار لحزب الإخوان المسلمين الذي تأسس في 1928 وارتفع صوته بعد هزيمة 1967 وهيمن نسبيا بعد حادثة الحرم 1979".

ويتابع "بعد إعلان ولي العهد السعودي الأمير الشجاع محمد بن سلمان عن الحرب على هذا التيار، بدأت سريعا علامات الأفول. لقد ظهر للناس الزيف في رموزهم، بل وفي أنفسهم. لقد اكتشف كثيرون أن التحاقهم بركب الصحوة لم يكن صادقا منذ البداية، لم يكن سوى ركوب للموجة ومواكبة للمجتمع، ومهادنة للصوت الأعلى. غلطة وقع فيها الجميع وانتهت. نعم، سيبقى الإسلامي المتدين، لكنه سيبقى كواحد من الآخرين، دون هراوة يهددهم بها أو يحاول إسكاتهم أو الاستفراد بالحديث وختم المواضيع".

جهود فردية

بعد إطلاق وزارة الثقافة لمبادراتها، وتعيين الروائي محمد حسن علوان رئيسا لقطاع الأدب والترجمة والنشر، الذي سيكون مسؤولا عن تطوير القطاع بكل ما يرتبط به من نظم وآليات وأجهزة، ما مدى قدرة الوزارة على تبني المبادرات الخاصة بالترجمة، وتحويل مشاريع المترجمين من أعمال فردية يقوم بها المترجم بجهده الشخصي إلى عمل مؤسساتي مدعوم من قبلها؟ وفي المقابل كيف تنظر إلى ملف ترجمة الإنتاج السعودي للغات أخرى؟

وعن هذا الملف يشير الغنامي إلى أنه لا يستطيع التحدث باسم وزارة الثقافة، وإن كان متفائلا بالأجواء العامة وبالدكتور محمد حسن علوان، لمعرفته بأنه رجل صاحب رسالة. يقول "بالنسبة إلى الترجمة في السعودية، لا توجد لدينا إلى اللحظة حركة ترجمة، لا شيء سوى جهود فردية هنا وهناك، فما تترجمه مراكز الترجمة في الجامعات لا يتجاوز المقررات الدراسية، وما يترجم في الغالب هو كتب العلم الطبيعي والتخصصات العلمية. وبحسب علمي، لا توجد حركة لترجمة كتب الأدب والفكر والفلسفة. بكل تأكيد أتمنى أن يكون الحال قد تغير أو في طريقه للتغيير، وأتمنى للإخوة في الوزارة التوفيق الذي يكفل التغيير".

مفاجأة كبرى

يرى الغنامي أن كل مثقف سعودي يدعي أنه كان يتوقع ما حدث من تغيرات وتحولات اجتماعية ووطنية عميقة في زمن العاهل السعودي الملك سلمان والأمير محمد بن سلمان هو بحاجة لأن يراجع صدقه مع نفسه. يقول "ما حدث في الخمس سنوات الماضية كان مفاجأة كبرى لم نتوقع أبدا أن تحدث في حياتنا، ما كنا نكتب عنه منذ العشرين سنة الماضية تحقق في لحظة، لكن هل كان للمثقف دور في ما حدث؟ طبعا كان له دور مهم، ولكن في نهاية المطاف فإن السياسي القوي، صاحب الرؤية، هو من يصنع التاريخ، وينقل الفكر من الكتب إلى الواقع على الأرض. كل المفكرين العظماء، كنْت وهيغل ونيتشه، كلهم احتاجوا إلى سلطة الدولة لتحويل أفكارهم إلى واقع معيش".

وعن رأيه في منهجة الفلسفة والتفكير الناقد في مناهج التعليم السعودي يقول "أعلن وزير التعليم السابق في آخر سنة من عهده عن إدراج مادة الفلسفة في التعليم، ثم تم التراجع عنها بإصدار كتاب في 'التفكير النقدي'، وهذا الكتاب أيضا تم التراجع عنه. لا أدري ما هي خطة الوزارة لكني أرى من الضروري جدا تدريس الفلسفة والتفكير النقدي لطلابنا، فما خرج الإرهاب إلا من منهج التعليم التلقيني الذي يجعل الطالب أداة طيعة في يد من يمنحه الثقة، مسلوب الفكر والقرار والإرادة. هذا النوع من الطلبة مستعد لأن يرتكب كارثة بعد محاضرة بسيطة تهيج عاطفته الدينية".

ويؤكد الغنامي في نهاية الحوار على أن المثقفين يحملون فكرا نخبويا، وهذا يجعلهم في معركة خاسرة، ليس أمام جماهيرية الفنانين والرياضين فقط، بل أمام نجوم شبكات التواصل الاجتماعي، ومن يتبعونهم، حيث يمارسون تكريس التفاهة والسخرية بالعقول. ويرى أنه يكفي المثقف أن تعرفه "طائفته" وأن تحبه النخبة في كل مجتمع.

فلسفة اليومي تحرر الإنسان المعاصر

أزراج عمر
كاتب جزائري

على مدى سنوات ليست بالقليلة والساحة الفكرية الأوروبية/الغربية تشهد مراجعة جذرية لماهية الفلسفة ودورها ووظيفتها في الحياة، وفي ترقية الفهم البشري، ولكيفية تدريسها، حيث تم وضع التقليد الفلسفي النسقي التقليدي تحت مطرقة النقد من أجل إنزالها من برجها العاجي وإبعادها عن تلك الطقوس التي تنطوي فيها على نفسها وتحصر مهمتها في مجرد طرح أسئلة الوجود الكبرى، أو النظر في الكليات، أو مساءلة العلم وتوفير الأسس المنطقية له، أو نحت وتوليد المفاهيم كما ذهب إلى ذلك الفرنسيان جيل دولوز وزميله غتّاري في كتابهما "ما هي الفلسفة".

ولقد ساهم هذا التغير ولا يزال يساهم في جعل الفلسفة تتدخل بقوة في الحياة اليومية للإنسان المعاصر لا لتفسير تعقيداتها وإدراك مشكلاتها فقط وإنما من أجل تحرير هذا الإنسان نفسه أيضا من وعيه المزيف، ومن ثقافة التشيؤ، والاغتراب، ومختلف أشكال استعمار الذوات.

ومن رواد هذا المنعطف الفلسفي المفكر الفرنسي هنري لوفيفر الذي استقطب في السنوات الأخيرة، وخاصة في بريطانيا، الاهتمام بفكرة فلسفة اليومي كما تجلى في كتاباته وعلى نحو خاص في مجمل كتاباته التي اصطلح عليها بفلسفة الحياة اليومية وذلك انطلاقا من كتابه الموسوم "نقد الحياة اليومية" في عام 1945 وصدر له في عام 1947، ثم تبعه بثلاثة كتب أخرى خصصها كلها لنقد الحياة اليومية وهي على التوالي "نقد الحياة اليومية: أسس لعلم اجتماع اليومي"، و"نقد الحياة اليومية: من الحداثة إلى الحداثية"، و"تحليل الإيقاع".

ومن أبرز عناصر فلسفة لوفيفر أيضا انشغاله المبكر بمسائل الفضاء والزمان وترابطهما بالحياة اليومية ولقد تمخض ذلك عن 70 كتابا تركها وراءه بعد وفاته منها كتاب يحتل راهنا مكانة متميزة في الدراسات الحضرية والثقافية المؤسسة على علم الاجتماع والفلسفة وهو إنتاج الفضاء.

وهنا نتساءل: ماذا تعني فلسفة الحياة اليومية عند لوفيفر تحديدا؟ وعلى أي أسس نظرية تقوم بالضبط؟ وما هو موقف المفكرين الغربيين من أفكار لوفيفر التي تعتبر العمود الفقري لفلسفة اليومي التي يعتبر أحد أبرز مؤسسيها في المشهد الفلسفي الأوروبي المعاصر؟

بادئ ذي بدء ينبغي التوضيح بأن تشكل فكر لوفيفر فلسفي منذ البداية، وإلى جانب ذلك فهو قد تمكن من المشاركة منذ العقود الثلاثة الأولى للقرن الماضي في تدشين ما يسمى بالهجنة النظرية المركبة التي تتضافر فيها روافد معرفية أخرى مثل فلسفة هيغل والماركسية وعلم الاجتماع والأدب والموسيقى وجماليات الفضاء والتحليل النفسي والثقافة اليومية، حيث أنه بهذا يعتبر أحد المؤسسين، ولو بشكل غير مباشر، للتخصص المزدوج المعروف الآن بالنقد الثقافي والدراسات الثقافية في طبعته الغربية.

ويرى النقاد في الغرب أن فلسفة اليومي عند هنري لوفيفر تتركز على نقد الرأسمالية الحديثة في المجتمع الفرنسي أولا وفي الغرب ككل ثانيا، وبهذا ندرك أن مدرسة فرانكوفرت، التي تأسست في العشرينات من القرن الماضي، وعنت بنقد الجذور الثقافية والفلسفية والمادية للرأسمالية وللعقل الأداتي الذي يسندها نظريا، ليست وحدها الظاهرة الفكرية التي وظفت الرؤية الماركسية المتطورة المسنودة بمنجزات التحليل النفسي، من أجل فهم كيف تعمل الثقافة الرأسمالية في المجتمع وكيف تقوم بتشييئ وتغريب الإنسان الذي حول إلى مستهلك، وذلك رغم أسبقيتها بزمان قصير من حيث التأسيس في إطار مركز بحثي جماعي بزمان، بل إن لوفيفر له إسهامه النوعي في هذا الحقل النقدي أيضا.

يمكن لنا تحديد خصائص تجربة اليومي في نقطتين أساسيتين وتتمثل الأولى في معالجة "التجربة اليومية" التي توصف بأنها "مستعمرة بالبضاعة المظللة بعدم الأصالة"، وفي هذا الخصوص بالذات ترى الناقدة إليزابث ليباس أن مشروع لوفيفر المتمثل في نقد الحياة اليومية يدخل في إطار استراتيجيات الدفع بأفق التنوير إلى أقصى حدوده. ومن جهة أخرى فإن هذا المشروع في تقديرها "يمتص ويولّد ويجمع فعليا مجمّل انشغالاته الفلسفية، وفي قلبها الإنسان: الإنسان الشامل". ويطمح هذا المشروع إلى بلورة فهم جديد للشرط الإنساني تحت وطأة الرأسمالية وإمكانية الخلاص من خلال الوعي.

> فلسفة اليومي عند هنري لوفيفر تتركز على نقد الرأسمالية الحديثة في المجتمع الفرنسي أولا وفي الغرب ككل

على صعيد تفكيك منظومة السياسة التي تفرض على الأفراد فإن فلسفة اليومي عند لوفيفر تميز بين مصطلح السياسة التي تعني ممارسة العمل السياسي اليومي وما يستتبعه من الالتفاف حول خطابات تسوّغ حشد المواطنين حول حزب ما أو أيديولوجيا محددة وبين مصطلح السياسي الذي يعني منتجات العقل في مجال التفكير السياسي الهادف إلى إنتاج وتشكيل هذا النمط أو ذاك النمط الآخر المخطط له مسبقا من الذوات التابعة والخاضعة وحسب مقاس هذا الحزب أو تلك الأيديولوجيا.

إن ما يميز مضمون مصطلح فلسفة الحياة اليومية عن مضمون سوسيولوجيا الحياة اليومية في سياق نظرية لوفيفر هو أن الأول هو تطوير "مفهوم المعيش، أو عالم الحياة"، وهو "فلسفة اليومي للنزعة الإنسانية الثورية" كما توضح الناقدة ليباس، ونفهم أيضا أن هذا المصطلح يعنى على نحو شديد الخصوصية بنزع الحجاب عن بنيات الوعي ومنظومة الأفكار المحيطة بالرأسمالية بما في ذلك أقنعتها التي تخفي المعنى الجوهري، أي الناظم الكلي الذي يريد تكريس نموذج دوغماتي في المجتمع ليفرّخ بالتالي نمط الإنسان الخاضع الذي تعمل على صياغته بواسطة قوالب وبنيات وأجهزة معدة سلفا أيضا، أما المصطلح الثاني فيخص تحليل مكونات المجتمع والعلاقات السائدة فيه وهي بذلك علم اجتماع وضعي للحياة اليومية.

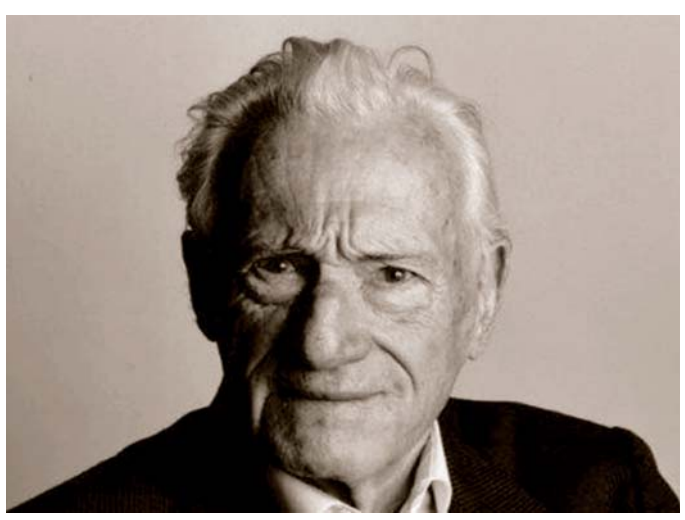

هنري لوفيفر أسس فلسفة اليومي تاركا 70 كتابا